

موسيقى

أمسية الليلة بقيادة المايسترو أندريه الحاج

نصير شمة... صاحب الأنامل النظيفة

بات غنيًا عن التعريف. هو اليوم الوريث الأبرز للمدرسة العراقية في العزف على العود. أغنية الريبرتوار المكتوب بمؤلفات من توقيعه، فقدّم مساهمة قد تكون الأبرز عربياً منذ محاولات القصبجي العظيم والسنباطي

بشير صفيّر

قضت أقل من ستة أشهر على آخر زيارة فنية لعازف العود نصير شمة إلى لبنان، عندما شارك في أمسية «يا مال شام» (حفلة مشتركة مع المغنية السورية ليلى شاميان وعازف العود اللبناني شربل روحانا وآخرين) ضمن «مهرجانات بيت الدين» الصيف الفائت. قبل ذلك، أحيى الموسيقي العراقي أمسيات كثيرة هنا، على مدى السنوات الأخيرة وفي أطرٍ مختلفة، منذ أولى

سيقدم «العامرية» المستوحاة من المجزرة التي ارتكبتها أميركيون بحق عراقيين عام 1991

حفلاته الناجحة في «المركز الثقافي الروسي» في بيروت (عزف منفرد قبل نحو 15 عاماً)، مساء اليوم، يعود إلى العاصمة اللبنانية ليقدم برنامجاً كاملاً من تأليفه، برفقة «الأوركسترا الوطنية اللبنانية للموسيقى الشرق-عربية» بقيادة المايسترو أندريه الحاج، عازف العود في الأساس.

نصير شمة المولود في العراق عام 1963 بات اليوم غنيًا عن التعريف. هو الوريث الأبرز للمدرسة العراقية

في العزف على آله، بعد عقود من رفع آل بشير (جميل ومينير ثم نجل الأخير عمر) راية العود العراقي في الموسيقى العربية. إنها مدرسة تستحق وريثاً من طراز شمة، إن كان في الجانب التقني أو الجانب الفني والتطويري الذي يمارسه صيفنا بحذر شديد يقبه الوقوع في الاستهلاك بحجة الحدّثة (حيث لعمر البشير شطحات).

نصير شمة صاحب أنامل نظيفة في العزف وأيار أنظف في الموقف السياسي (غير الملزم به أصلاً بما أنه يمتنهن الموسيقى لا الكلمة)، أكان قبل الاحتلال الأميركي لبلده أو خلاله. موقفٌ مبني على توجهات من النوع الذي لا يمكن أن يخله تحليل ضعيف أو حسابات خاطئة، إلا وهو الوطنية المنطقية والف باء الإنسانية: جيش أجنبي على أرض ذات سيادة تعريفه في القاموس هو «احتلال» وممارسة الاستبداد على الناس الأبرياء يُسمى «ظلاماً». بهذه البساطة.

موسيقياً، أتقن نصير شمة آله حدّ البراعة الظاهرة للعبان بفعل تنفيذ الجمل البسيطة أو المركبة بالسهولة ذاتها. لكن الريبرتوار المكتوب للعود (مقارنةً بالآلات الأخرى كالبيانو) محدود نسبياً. وبعضه لا يتعدى كونه تمريناً خالياً من الجمال، وبعضه الآخر لا يمكن تقديم جديد



فيه إلا في الهامش الضيق المتعلق بحسن الأداء (كما في الموسيقى الكلاسيكية الغربية). لذا، كان لا بدّ لشمة من توظيف امتلاكه للعود في مجال أكثر صرامة من التقسيم والارتجال على المقامات الشرقية. أي، إغناء الريبرتوار المكتوب بمؤلفات من توقيعه. إنها أصعب مهمة تعترض عازفي الآلات المعروفة بإطلاقاتها الفردية (بشكل منفرد أو بالواجهة مع آلة أو أكثر أو مع أوركسترا)، وعلى رأسها، في الموسيقى الشرقية، العود، قبل

الكمّان والقانون والناي وغيرها. هنا، يمكن القول إن الموسيقي العراقي (المؤلف في هذه الحالة) استطاع أن يقدم مساهمة قد تكون الأبرز عربياً منذ محاولات القصبجي العظيم والسنباطي (ونقص في تأليف المقطوعات تحديداً، لا في تلحين الكلمة). أهم ميزة في التأليف الموسيقي عموماً هي البنية أو الهيكلية. كلما ارتفع الشعور بحضور هذه الميزة، اشدّت المقطوعة متانة، لتأتي فتدعمها بنسب متفاوتة النغمات الجميلة وعفوية ارتباطها والشعور بحتمية

تواليها. بخلاف ذلك، يصبح التأليف صفّ نونات لا معنى له سوى صحته على المستوى النظري (ربيع أبو خليل مثلاً). في الواقع، يمتلك نصير شمة «شيئاً» على هذا الصعيد، لكن قوة التأليف عنده تتلاشى نسبياً في المقطوعات التي تدخل في تركيبها الفرق (مجموعات صغيرة أو أوركسترا)، مقارنة ببعض تجاربه الممتازة في التأليف للعود المنفرد (حتى تلك المبنية على البراعة أولاً، كتلك التي يعتمد فيها على العزف باليد اليسرى فقط، استناداً إلى التقنية التي طوّرها منذ التسعينيات بدوافع إنسانية تخضع معوقتي الحرب من العازفين).

في أمسيته المرتقبة هذا المساء في «قصر الأونيسكو»، سيقدم مؤسس «بيت العود العربي» (مصر/1999) مجموعة أعمال من تأليفه مثل «العامرية» الشهيرة (مستوحاة من المجزرة التي ارتكبتها أميركيون بحق عراقيين في ملجأ العامرية العراقي عام 1991) و«من الذاكرة» و«على حافة الألم»، و«تحية فيلمون» و«طاب صباحك بغداد» (إعداد أندريه الحاج) و«غداً أجمل» (إعداد وليد بو سرحال) وغيرها. يبدو نصير شمة عفويًا في وضع عناوين أعماله كما ترون، إذ يقع على نقض أسلوب «الثلاثي جبران» في العفوية... تماماً كإحساسه!

* أمسية نصير شمة برفقة «الأوركسترا الوطنية اللبنانية للموسيقى الشرق-عربية»، وقيادة المايسترو أندريه الحاج: 20:00 مساءً اليوم - قصر الأونيسكو (بيروت). الدعوة عامة. للاستعلام: 011746939

ليالي المترو

عبد الكريم الشغار... وحدي أنا والكاس!

تأديت كنعان

«وحدي أنا والكاس والدمعة بعيوني... نامت عيون الناس، نامي يا عيوني». من منّا لم يسمع ويحب هذه الكلمات بصوت جورج وسوف؟ الأغنية التي ظنّها الجميع - لسنوات طويلة - أنها لـ«سلطان الطرب»، ستعود إلى الواجهة اليوم، لكن بصوت صاحبها الأصلي: عبد الكريم الشغار. في عام 1973، أنهى الملحن وعازف البرق الشهير الراحل مطر محمد عمله على أغنية «وحدي أنا والكاس» التي كتب كلماتها إلي شويري، وعرضها على الشغار. على الرغم من إعجابه الشديد بها وبدء تمريناته عليها وتسجيل جزء منها، تحفظ الفنان الشاب (يومها) الذي شارك في العام نفسه في برنامج «استديو الفن» لاحقاً على تأديتها لـ«أسباب شخصية ومراعاة لشعور بعض المقرّبين الملتزمين دينياً وبسبب ظروف الحرب»، وفق ما يقول في حديث إلى «الأخبار». وحالما تسرب مقطع من هذا العمل، غناه جورج وسوف، ليحظى بسرعة البرق بنجاح وحفاوة كبيرين، حتى باتت الأغنية مرتبطة بـ«أبو وديع». اليوم، بعد مرور أكثر من أربعة عقود، اتخذ عبد الكريم الشغار قراراً بتقديم الأغنية بصوته، لكن بنسخة طويلة طربية، ضمن حفلي «سلطنة»، سيستضيفهما



«مترو المدينة» (الحمرا - بيروت) في 21 و28 كانون الثاني (يناير) الحالي. توليفة النسخة الجديدة تحمل توقيع الموسيقي العراقي خيام اللامي لناحية التوزيع، وهي بالطبع «أمانة للملحن الأصلي مطر محمد»، وتشكل تحية لهذا الفنان الكبير الذي رحل بصمت. اللامي سيرافق الشغار على العود في هاتين الأمسيتين، إلى جانب عدد من الموسيقيين، هم: محمد مطر محمد (نجل مطر محمد) على البرق، وبهاء ضو وإيليانا عوض على الإيقاع،

أعاد خيام اللامي توزيع الأغنية ضمن توليفة أمانة لمطر محمد

وجهاد أسعد على القانون، وخالد عمران على الكونترباص. في جلسة نهائية في مسرح المترو، أوضح الشغار لـ«الأخبار» أن الفكرة ولدت بعد دروسات وجلسات عمل طويلة مع المخرج هشام جابر. المطرب اللبناني المخضرم الذي يعتبر أن التجويد والإنشاد الصوفي هما مدرسة في الغناء، لا يُخفي حماسه الكبيرة لـ«وحدي أنا والكاس» التي يدور لحنها في فلك الغلامكو. منذ عام 2013، يقدم الشغار في المترو أمسيات طربية

مخصصة لكلاسيكيات طربية لأم كلثوم بغالبيتها. لكنها من دون شك حماسة مزروجة بـ«رهبة وارتباك»، تماماً كما يحدث في كل مرة يستعد فيها صاحب أغنية «صعب المنال» للقاء الجمهور مباشرة. مزيج المشاعر المتناقضة هذا تابع من «إحساسي بالمسؤولية» الذي لا يزال كبيراً، رغم أنه من أبرز الأسماء التي صنعت الحالة الغنائية الطربية في لبنان، ورفضت النزعة التجارية والاستهلاكية السائدة في مشهد صناعة الفن في لبنان.

يرى عبد الكريم الشغار في «مترو المدينة» فضاءً ومنتقناً ضرورياً للفنانين الشباب، ويشكل بالنسبة إليه باباً للقاء جمهور جديد من مختلف الشرائح الاجتماعية والعمرية، وعلى رأسهم الشباب الذين أدهشه «حبهم للطرب وتأثرهم به». وفي هذا المكان، ينوي الكشف خلال الفترة المقبلة عن المزيد من أغانيه غير المعروفة، أو تلك التي لم تحظ بشهرة واسعة. ومن يدرى، قد تكون في المستقبل أمام اليوم كامل، ناهيك عن مشاريع فنية وتلفزيونية تُطبخ على نار هادئة، ويفضل عدم التطرّق إلى تفاصيلها حالياً.

* عبد الكريم الشغار يغني «وحدي أنا والكاس»: 21 و28 كانون الثاني - الساعة التاسعة مساءً - «مترو المدينة» (الحمرا - بيروت). للاستعلام: 76/309363